الحب الارتقائي ونظرة الإسلام

ويشمل المباحث التالية:

- أمثلة عن الحب الارتقائي.
- مصير أطفال الحب الارتقائي.
- نظرة شاخصة في الحب الارتقائي.
- النظام الاجتماعي الذي ينتظر الغرب، إذا تحقق ما ذهب إليه الكاتبان الألمانيان.

obeikandl.com

الحب الارتقائي ونظرة الإسلام

كتب الكاتبان الألمانيان (غيرد غيركن وميشائيل كوفيتسر) كتاباً بعنوان: «مستقبل الحياة في الغرب»، وتمت ترجمته من قبل: (أبو علي ياسين)، وفي هذا الكتاب يتحدث الكاتبان عن كيفية تحوّل الحب الرومانسي إلى حب آخر، وهو الارتقائي. ولنتابع معاً ماذا نقصد بهذا الحب الذي أرى في الحقيقة أنه قد آن أوانه في الغرب وأنه يُمارس الآن فعلاً، وإن كان الكاتبان يسميانه: حبّ المستقبل.

يقول الكاتبان: نموذج الحب، الذي سيحل مستقبلاً محل الحب الرومانسي ويكتسب لحسن الحظ قوة متزايدة، هو: الحب الارتقائي. هذا التصور الجديد للحب هو نموذج إنمائي، تصور صداقي يهدف إلى نمو شخصي مشترك لكل من الشريكين في العلاقة. هذا يعني: الحب كتصور لارتقاء الإنسان. العامل الرئيسي في هذا التصور للعلاقة هو استمرار تطور الهوية الذاتية. هنا لا يبحث المرء عن السعادة في العلاقة، بل يكون كل واحد مسؤولاً عن سعادته الشخصية.

في المستقبل لن يكون للسعادة أي ارتباط بالشراكة. فسيحققها كل شخص لذاته. الشراكة لن يكون لها علاقة إلا بالنمو، بالتحوّل، بالتشكّل وبناء الهوية الذاتية. المطلب

الأساسي في هذا التصور للحب هو الإلفة ـ فقط ـ لأن الحميمية الروحية بين الشريكين هي أهم وثاق في هذا النموذج من العلاقة. في مجالي: «الجنس» و«الإجهاض» يكون الحب الارتقائي منفتحاً جداً. فَتَرات من الجنس المكثف والتجريبي العنيف يمكن أن تعقبها فترات لا يشعر فيها كلا الشريكين بتلك المتعة مع بعضهما البعض، هذا أمر متقلب، وليس له معيار. هكذا أيضاً الإخلاص، أحياناً قد يكون هاماً. وأحياناً أخرى قد لا يكون هاماً بتاتاً. إذ ذاك يمكن أن يقوم الشريكان عن عمد بالتجريب: يستطيعان مثلاً أن يتفقا على فترات يسمحان فيها لبعضهما البعض بعدم الإخلاص. اتفاقات كهذه ستكون في المستقبل من صميم العلاقة، ذلك أنه خلف التصور الارتقائي تكمن عقلية تعاقدية جديدة. وهذه العقلية ليست مؤسسة على ما هو مادي (عقد الزواج) بقدر ما هو مؤسسة على الصداقة والنماء الشخصي (الارتقاء).

إنه لمن الواضح ـ فيما سلف ـ أن الشريكين يستطيعان مثلاً أن يتفقا على فترات يسمحان فيها لبعضهما البعض بعدم الإخلاص. فهنا يبرز سؤال وهو: هل يتفق الشريكان على أن يصادقا كل منهما شريكين آخرين، وينساقا كيفما يشاءان للحصول على الأخلاء، وكلاهما طبعاً يتفقان بعدم الإخلاص لبعضهما البعض لفترة معينة وبدون زواج شرعي أو رسمي.. ما سمعنا عن هذا الزواج أبداً، وحتى لم يحلم به أحد.

هكذا يتصور الكاتبان الألمانيان أن الحياة الزوجية في

المستقبل ستتطور هكذا، وهذا هو الحب الارتقائي!! وهذا هو الترقي والتسامي إلى زواج جديد عصري متقدم.

وإذا أمعنا النظر فيما كتبه الكاتبان: اتفاقات كهذه ستكون في المستقبل من صميم العلاقة.. يا سبحان الله، يعني اتفاقات الخيانة هذه تصبح من صميم العلاقة بين الرجل والمرأة. ذلك لأنه خَلف التصور الارتقائي تكمن عقلية تعاقدية جديدة، وهذه العقلية كما يُصَنِّفها الكاتبان ليست مؤسسة على ما هو مادي (عقد الزواج) بقدر ما هو مؤسسة على الصداقة والنماء الشخصي (الارتقاء).. يا لعظمة هذا الارتقاء!! يا لهول المصيبة الكبرى، يا لحيوانية هذه الأصناف من البشر، بل الحيوان أكثر غيرة من هؤلاء (عدا الخنزير). والحقيقة للحب الارتقائي الغربي برامج أربعة، فبرنامجه الأول هو: الحب الموقوت، ويُعَرِّف الكاتبان هذا البرنامج كالآتي:

تتحدد العلاقة في النموذج الارتقائي دائماً بما إذا كان النمو ممكناً، ليس للمدة قيمة في ذاتها، إنما يدور الأمر حول نمو وتطور شخصية الشريك، ليست القيمة لمدة العلاقة، بل للنوعية.

علاقة المستقبل، بما أنها ارتقائية، ربما تكون غالباً قصيرة الأمد. فعندما يقدم شريكان على الدوام وقوداً للشراكة، عندئذٍ يكون الافتراق بعد مرحلة من الطريق المشترك شبه موضوع في الحسبان.

لذلك يكون الحب الارتقائي في العادة حباً موقوتاً.

الإخلاص لا يعود مقروناً بالحب والأبدية، والجنس يصبح قوة بناء لتجاوز الحدود، والحميمية تصبح خدمات متبادلة. لا يعود يوجد توافقات قدرية أبدية، بل فقط معاشرات محدودة، حيث لا أحد يعلم متى تتوقف. وهكذا يعيش المرء بصورة متعاقبة في أشكال مختلفة جداً من المعاشرات.

فلنعلق شيئاً على البرنامج الأول ونقول: أي نوع من الحب هذا؟ فالإخلاص لا يعود مقروناً بالحب والأبدية، فإذا كان هناك نية الانفصال في المستقبل القريب أو البعيد، فيعني أنه لا يوجد أي إخلاص حتى في بداية العلاقة بين الشريكين، يقول نبينا ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى**»[1]، فهل يتزوج الفرد بنية الانفصال أو عدم الإخلاص في المستقبل، أهذا عمل إنساني؟! أم ماذا؟ والعجيب ما يقوله الكاتبان: «علاقة المستقبل ارتقائية، ربما تكون قصيرة الأمل» يعني القصد في هذا النوع من الشراكة، الافتراق منذ البداية؟! إذن أين هو الحب؟ فالانفصال أمر محسوم بعد مرحلة من الطريق المشترك، أمّا ما ينتظره الكاتبان فهي النتيجة، وهي كالآتي:

النتيجة: معدلات الطلاق تواصل الصعود، ذلك لأن حياة المرء ستحفل بمعاشرات وزيجات عديدة، وفي المستقبل سيُصبح المبدأ: «الزواج عمل ـ الطلاق نضج». حوادث الطلاق

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 54) و(الحديث: 6689)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 4904)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1647)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 75)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4227).

ستصبح أكثر فأكثر أموراً عادية، بل حتى أنها سَتُقَيَّمُ إيجابياً كعملية إنضاج، وليس كتصرفات محرجة. مزيد من النساء سوف يتعلمن أن الانفصال لم يعد خيبة، بل سيرونه فرصة لذلك، فإنه ليس صدفة أن نسبة 60 بالمئة من حالات الطلاق تمت بمبادرة النساء ـ والنسبة في تصاعد.

العلاقات المديدة ستصبح في النموذج الارتقائي استثناء، نادراً، لكنها تبقى ممكنة. ذلك لأن المرء بإمكانه اجتياز ارتفاع وانخفاض الأطوار الزخمية والهادئة في العلاقة بفضل الطابع الاتفاقي للحب الارتقائي أكثر مما في المثال الرومانسي.

ومن هنا سيصبح المبدأ مستقبلاً «الزواج عمل ـ الطلاق نضج».. سبحان الله كيف تقنع النساء بأن يكون طلاقهن نضج الرجال؟! أليس هذا الأمر غريباً لهن ولحقوقهن؟! ويقول الكاتبان: حوادث الطلاق ستصبح أكثر فأكثر أموراً عادية، بل حتى أنها سَتُقَيَّمُ إيجابياً كعملية إنضاج.. يا لهول المصيبة لا يعد الطلاق فيما بعد تصرفاً محرجاً!. ثم يعود الكاتبان ليقولا: مزيد من النساء سوف يتعلمن أن الانفصال لم يعد خيبة، بل سيرونه فرصة لذلك.

أليس هذا انقلاباً لا يمكن حتى قبوله؟ فعلى الرجال أن يفتشوا أو يؤسسوا جمعيات تدافع عن حقوقهم ويسمونها: جمعية الدفاع عن حقوق الرجال، كنظيرتها: «جمعية الدفاع عن حقوق المرأة».

أين إخلاص الزوجة للرجل وبالعكس؟ يكفينا أن نطعن

بالزواج الارتقائي بذكر حديث المصطفى ﷺ فيما أدّب به أمته وحثها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام، حيث قال ﷺ: «**أوصاني ربي بتسع وأنا أوصيكم بها: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبراً**»[1].

يا لعظمة هذا الرسول ﷺ، كيف أدبه الله جل وعلا، حيث أوصاه بالإخلاص في السر والعلانية، فالإخلاص عام لجميع الناس والأقربون أولى به ومنهم الزوجة، فإن لم يكن الإخلاص لها فلمن يكون؟.. وليس كإخلاص (بيكنباور) لزوجاته، ولا للخيانة التي يزعمها أهل الحب الارتقائي.

أمثلة عن الحب الارتقائي

يقول الكاتبان الألمانيان: الجيل الأول الذي اكتشف ـ أو سيكتشف ـ الحب الارتقائي كتصور تشاركي معاصر هو اليوم أبناء الثلاثين. بالمقابل من الصعب إلى حدّ ما إيجاد أمثلة رائدة في الحب الارتقائي. ذلك أن كل الفنانين من الرجال والنساء من أمثال «إليزابت تايلور» و«رود ستيوارت»، الذين جمعوا خمس أو ست زيجات، فعلوا ذلك على الأغلب بسبب عدم النضج أو الغرور أو عدم القدرة على إقامة علاقة ثابتة ـ وليس بقصد أن

(1) «العقد الفريد» (2/ 417)، و«عيون الأخبار» (2/ 361).

يتابعوا التطور مع شركاء آخرين. من المؤكد كذلك أن مهووسين جنسياً مثل: (وارن بيتي) أو فراشات العلاقات مثل: (وينونا ريدر) ليسوا أمثلة مناسبة.

خلافاً لذلك يمكن اعتبار (فرانتس بكنباور) مثالاً رائداً في الحب الارتقائي، لقد تابع تطوير نفسه من زواج إلى زواج، أو بالأحرى من امرأة إلى امرأة. زوجته الأولى (بريغيته) جعلت من لاعب كرة في الضواحي غير واثق من نفسه رجلاً، وأدخلت نجم كرة القدم إلى المجتمع المخملي. مع صديقته (ديانة زاندمان) انتقل بكنباور إلى العالم الواسع في نيويورك، صار رجلاً عالمياً ورجل أعمال ـ وأصبح ناضجاً لعلاقة متزنة، فتزوج (زيبلله فايمر).

ليس فقط سيرورة النضج الواضحة عبر ثلاث زيجات أو بالأحرى ثلاث علاقات هامة عميقة هي التي تجعلنا نخمّن لدى (فرانتس بكنباور) إرهاصاً لنمط علاقة ارتقائية، بل كذلك الطريقة النبيلة في إنهاء العلاقات: فهو لم ينشر بعد أية زيجة غسيلاً وسخاً، بل قام على الدوام بعملية قطع نظيفة.

أما البرنامج الثاني في الحب الارتقائي، فهو: مثل أعلى جديد للحب. هنا توجّه الحُب سوف يتغير، فلن يكون بعد الآن نحو الداخل، لن يرقب بعد الآن في علاقة ثنائية، بل سيتوجه نحو الخارج، لن يكون الحب معمقاً، إلّا إذا استطاع المرء منحه للآخرين بلا حساب. مغزى الحب هو أن ينتج المرء فائضاً كبيراً من الحب كي يستطيع الجوال به من جديد.

خلافاً لذلك يجري الحب في النموذج الرومانسي حصراً ضمن الذات، غريب أمر هذا النوع من الحب، إنه يتغير ولا يثبت على المرأة الأولى، وربما الثانية والثالثة، مدته غير محددة سواء قصرت المدة أم طالت، والحب هنا غير معمق، أي سطحي.

ومغزى الحب هو لكثير من النساء، ولا يثبت على واحدة..

بالله عليك أخي القارئ: أما تسخر من هذا؟.. هل تقبل بهذا الحب؟! إنه لا يدخل في قلب العاقل.. فالرجل أو المرأة هنا أكثر شبهاً بالحيوان المتعطش.

البرنامج الثالث في الحب الارتقائي: جنس جديد

ويقول المؤلفان: «وهنا سوف يصبح الجنس متعة وتجلياً لأقوى قوة روحية في الجسد. الموقف الأساسي هنا هو: فضولية فائقة لتجارب جديدة تماماً من خلال الممارسة الجنسية. بالنسبة للنساء يتعلق الأمر على الدوام بإخراج (بالمفهوم السينمائي) جديد للتجربة الجنسية، أما بالنسبة للرجل فيتعلق بفعل النكاح فقط ـ للأسف».

عجيب أمر هذا البرنامج الارتقائي، فالمرأة هنا وفي كل مرّة تصبح وكأنها مخرجة لفيلم سينمائي جديد، وكل مرة ومع كل رجل تتعلم تجربة جنسية جديدة.. أي زمان هذا، وكأنَّ المرأة هنا ترمى من رجل إلى رجل.. ما دِينُ هؤلاء؟ أي أطفال

ينجبون هؤلاء؟ أي آباء وأمهات سيكونون لهؤلاء الأطفال؟! حيوانات أم بشر هؤلاء؟!.. الحيوان أكثر غيرة من هؤلاء فيما عدا الخنزير.

إني أتعجب من الكاتبين الألمانيين فإنهما يتباهان ويمتدحان ما يكون عليه المستقبل وما يسميانه بالحب الارتقائي ـ وحتى ليس بالزواج الارتقائي ـ لأنه لا زواج في ذلك الزمان، كما يمتدحان ارتقاء ونضج اللاعب المشهور (بيكنباور)، على أنه مثال لهذا النوع من الحب.. ونحن المسلمين، بعكس ما هو عليه الغرب لا ننظر إلى المرأة كبضاعة أو دمية أو جارية أو خادمة، بل نراها نصف المجتمع وأستاذة الإنسان الأول وأمُّ الرجل أو أخته أو زوجته أو ابنته.. أي: هي قطعة من شخصية الرجل وكيانه وليس شيئاً آخر.. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1].

مصير أطفال الحب الارتقائي

يقول الكاتبان الألمانيان:

عموماً يبدو أن تصوّر الحب الارتقائي لا يناسب الأطفال تماماً، إذ أن العلاقات زائلة وغير مضمونة. فالأطفال يلعبون في التصور الارتقائي دوراً هاماً للغاية. فهم يعطون الواحد منا إمكانية أن يعيش (من جديد) ـ كأم أو كأب ـ وبذلك أن ينمو ارتقائياً.

الحب الارتقائي مثالي أيضاً بالنسبة للأطفال أنفسهم، فهم يكونون منذ البداية موجّهين نحو التطور الواعي للشخصية. بالطبع تبقى ثمة مخاطرة في هذا التصوّر ذات العلاقة بأن ينفصل

الشريكان من جديد. ولكن، كل تحليلات حوادث الطلاق بلا استثناء تصل إلى النتيجة: بأن الأسوأ بالنسبة للأطفال هو أن يعيشوا في وئام منافق أو في ظروف الخصام المكشوف. في مثل هذه الحالة الأفضل بكثير لهم أن يعيشوا الانفصال، والأفضل انفصالاً بلا ضغائن وبلا نميمة، كما يجب بالطبع أن يكون عليه الحال في حب ارتقائي. وقد ثبت في جميع الدراسات أن الأطفال الذين عاشوا تبديلاً (منصفاً) للمعشر العائلي، أظهروا تأقلماً فائقاً. فهم يعيشون باكراً إمكانية تصورات شريكية مختلفة، وهذا يجعلهم مؤهلين للمستقبل.

عجيب أمر المؤلفين حيث أنهما يصرحان: أن الحب الارتقائي مثالي أيضاً بالنسبة للأطفال أنفسهم، فهم يعطون الواحد منا إمكانية أن يعيش (من جديد) كأم أو كأب ـ وبذلك ينمو ارتقائياً...

هذا يعني أن الأطفال الذين هم ضحايا الحب الارتقائي، والذين يتربون في ظل آباء، أب تلو الأب.. وقد يصل عدد آبائهم إلى عشرة أو أكثر بأنهم ينمون ارتقائياً، وكأنَّ الكاتبين يتباهان بأطفال من هذا النوع، أنا لا أدري أي تربية يتلقى هؤلاء الأطفال من مدارس (آباء) لا يحصى عددهم..؟

ويستمر الكاتبان قائلَين: بالطبع ثمة مخاطرة في هذا التصور العلائقي؟ بأن ينفصل الشريكان من جديد، ولكن، كل تحليلات حوادث الطلاق بلا استثناء تصل إلى النتيجة: بأن الأسوأ بالنسبة

للأطفال هو أن يعيشوا في وئام منافق أو في ظروف الخصام المكشوف.

هنا نطقوا بالحق عندما صدقوا. ثم يستمر الكاتبان أيضاً قائلين: في مثل هذه الحالة الأفضل بكثير لهم ـ أي (للأطفال) ـ أن يعيشوا الانفصال، والأفضل انفصالاً بلا ضغائن وبلا نميمة.

هذا حال أحدث حب متطور ننتظره في المستقبل، وكأنه اختراع لسيارة من شركة مواصفاتها أنها تسير في الأرض وتطير في السماء وتجري في البحار...

وإذا كان الكاتبان الاجتماعيان الغربيان يشيدان بهذا النوع من العلاقات (الحب الارتقائي) ويعطيان لنا خير الأمثلة وهي حالة (بيكنباور)، فلماذا تبث هذه الدعاية الشنيعة والبغضاء ضد الدين الإسلامي الحنيف، حيث إنهم يقذفوننا لكوننا أُحِلّ لنا تعدد الزوجات، وإن كان لا مقارنة بين تعدد الزوجات في الإسلام وما يَدَّعيه كتاب: «مستقبل الحياة في الغرب».

وفي الحقيقة أرى أنّ هذا العنوان للكتاب لا يوافق الواقع الغربي، فكان على الكاتبين أن يسميا الكتاب (حاضر الغرب) وليس مستقبله، لأن البيئة الغربية حالياً مليئة بهذا الحب الارتقائي.

نظرة شاخصة في الحب الارتقائي

نفهم مما سبق أن (بيكنباور) لم تكتمل شخصيته الاجتماعية والإنسانية ولم يتطور إلّا عندما طلق زوجته الأولى التي حولته من لاعب لكرة القدم في الضواحي، ومن إنسان غير واثق من

نفسه إلى رجل معتد بذاته.. يا سبحان الله.. ما هذا الرجل بهذه الصفات؟! وما هذه الامرأة الجبارة التي أدخلت نجم كرة القدم في المجتمع الألماني.

والغريب أيضاً أن الزوجة الثانية قد نقلت نجم كرة القدم إلى عالم أوسع في نيويورك؟ نعم يظهر أن أوروبا وألمانيا الذين نشأ فيهما (بيكنباور) لم يجعلا منه رجلاً ناضجاً إلّا حينما انتقل إلى نيويورك وبصحبة خليلته. ثم يقول المؤلفان الألمانيان: أصبح ـ يقصد بيكنباور ـ ناضجاً لعلاقة متزنة مع (زيبللة فايمر) الخليلة أو الزوجة الثالثة... إن سُؤالًا يطرح نفسه هنا وهو: إذا كان هذا الرجل أصبح مُتَّزناً وناضجاً عندما تزوج بثلاث نساء، فلماذا إذن يُطعن بالإسلام طعناً مبرحاً عندما أحلّ تعدد الزوجات؟! والفرق هنا وهناك شاسع جداً لا مقارنة بينهما.. فأين هي حقوق المرأة؟ أين جمعية الدفاع عن حقوق النساء لتقف ضد الحب الارتقائي؟ هنا يتباهى الكاتبان بنجم الكرة (بيكنباور) بعد أن تزوج ثلاثاً وطلق اثنتين.

أيتها المرأة كوني يقظة واعية وأنت تقرأين ما قام به (بيكنباور) وكيف ابتلع حق النساء، وكأَنَّ المرأة لديه كانت سلعة يستخدم إحداهن ثم ينتقل إلى الأخرى، واعلمي جيداً أن الإسلام قد أعطاك من الحقوق والامتيازات ما يحفظ لك كرامتك وحقوقك وإنسانيتك، والإسلام إذ سنّ الطلاق من أجل مصلحتك أنتِ ومصلحة الرجل والأطفال والأسرة والمجتمع معاً، فكيف باثنين محكومين بحكم القانون وليس بحكم المودة

ولا بحكم الرحمة، فإذا وجد الزوج أنه لا يرغب في زوجته ووجدت المرأة أنها لا ترغب في زوجها، فإن يفترقا يُغن الله كُلّا من سعته، وإلّا فما من حلّ إلّا الانفصال والطلاق، وإلّا نشأت أسرة شرسة،متعارضة، فماذا نتوقع من الجيل الذي ينشأ من هذه الأسرة؟ هل نترك الأطفال ليروا البغض بين الأب والأم؟ فينغرس هذا البغض فيهم، وبذلك تنشأ أسرة فاسدة ولا يصح أن تُبنى من أمة من مثل هذه الأسر، إذن ففي مثل هذه الحالات يجوز الطلاق في الإسلام ـ وليس في حالة بيكنباور ـ ثم هل هناك حلول أخرى؟ أليس الطلاق أحسن الحلول؟ حيث تعطب الأمور وتتفاقم من السوء إلى الأسوء؟

فكيف نرغم اثنين على أن يعيشا معاً وأحدهما كاره للآخر؟ أيّ حياة هذه؟ وأي سكينة في بيت تعيش المرأة فيه قَهْراً عن الرجل، ويعيش الرجل فيه قهراً عن المرأة؟ لم يُشرع الدين الحنيف الطلاق لأجل اللّذات أو العلو في الدنيا، كما كان ذلك في حالة قيصر كرة القدم (بيكنباور)، فالغرب ـ أيتها المرأة ـ يريد أن يجعل للإسلام خصوماً، فهل علمت الآن متى يُجيز الإسلام الطلاق؟

هذا وإن الإسلام يُطعَن بإباحته لتعدد الزوجات، وهذه المسألة أتعبت المرأة بشكل رهيب، وها أنتِ أيتها المرأة تقرأين بأم عينيك، ما فعل (بيكنباور) مع زوجاته، فإنه قد تركهنّ وحيدات بلا رجل، وقد يعجزن في هذا العمر أن يلقين رجالاً يرضون بهن.. أين إذن حقوق المرأة عند رجل غربي أدهش

العالم في ملاعبه؟! ألم يكن من الأفضل أن لا يُطلق (بيكنباور) زوجاته ويبقيهن معه؟ كما أمر الإسلام بذلك حيث قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الحلال عند الله الطلاق**»[1] (رواه أبو داود عن ابن عمر ﷺ، أليس ذلك أفضل لأطفالهن، أليس هذا هو الحل الأمثل ـ أقصد بذلك تعدد الزوجات؟

واعلمي أيّتها المرأة، أن العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة في الإسلام ـ وفي شرقنا بالتحديد ـ ليست ناشئة عمّا تتطلبه الحياة الدنيا من حاجات فطرية، فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدها، بل هي رفيقته أيضاً في حياة أبدية خالدة[2]، فما دامت هي صاحبته في حياة باقية، فينبغي لها ألّا تلفت نظر غير رفيقها الأبدي وصديقها الخالد إلى مفاتنها، وألّا تزعجه، ولا تحمله على الغضب وسوء الظن والغيرة.

إن الزوج المؤمن ـ بحكم إيمانه ـ لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط ولا يوليها محبة حيوانية قاصرة على وقت جمالها وزمان حسنها، وإنما يُكِنُّ لها حباً واحتراماً خالصين

(1) أخرجه أبو داود في (الحديث: 2178)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 2018).

(2) بديع الزمان سعيد النورسي رَحِمَهُ اللَّهُ، الاحتشام تقتضيه الفطرة، مقالة نشرت في التربية الإسلامية عدد (2) 1986، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ـ وبتصرف من المؤلف.

دائمين حتى وقت شيخوختها وزوال حسنها. بل يدومان إلى حياة أبدية خالدة.. (وليس كحياة بيكنباور الذي ترك وطلق زوجتيه الأولى والثانية وربما طلق الآن زوجته الثالثة).. فإزاء هذا لا بد للمرأة أيضاً أن تَخُص زوجها وحده بجمالها ومفاتنها وتقصر محبتها به، كما هو مقتضى الإنسانية، وإلّا فإنها تفقد أكثر مما تكسب، وتخسر أكثر مما تربح.

إني أَرى شخصياً ـ وهذا هو رأي علماء الإسلام ـ أن التكشف والتبرج في الغرب والاختلاط غير الشرعي هو السبب الرئيس في قضايا الطلاق، وتذهب بالرجال إلى الحضيض كما ذهب بـ(بيكنباور) باتخاذ خليلاته.

إن رفع المدنية السفيهة للتستر وإفساحها المجال للتبرج، إنما هو أمر يُناقض الفطرة الإنسانية. إن سعادة العائلة في شرقنا واستمرارها إنما هي بدوام الثقة المتبادلة بين الزوجين، واستمرار الاحترام والود الصادق بينهما، إلّا أن التبرج الموجود في الغرب والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة ويحصل لهن ما حصل لزوجات بيكنباور.. وفي المجتمعات المتكشفة أو في محيط متكشف، تلاقي تسعة من عشرة متبرجات أمامهن رجالاً يفوقون أزواجهن جمالاً، بينما لا ترى ـ غير واحدة ـ منهن من هو أقل جمالاً من زوجها. والأمر كذلك في الرجال فلا يرون إلّا واحدة من كل عشرين منهن من هي أقل جمالاً من زوجته، والباقون يرون أمامهم من يفقن زوجاتهن حسناً وجمالاً. إذن هكذا هو مجتمع (بيكنباور).

فإذا كان هذا هو الحال في الغرب وفيه ذلك الاختلاط الشنيع بين الرجال والنساء، فكيف لا يتزوج بيكنباور باثنتين أو ثلاث أو حتى أكثر من ذلك. هل النساء المتبرجات ربحن أم خسرن؟!! فإذا لم يكن هناك فرصة لأن يلتقي بكنباور بزوجته الثانية ويراها بكل مفاتنها فكيف كان يُطلق زوجته الأولى وكذلك بالنسبة لزوجته الثانية.. من هو المسؤول في هضم حقوق المرأة؟ أليست المرأة بتبرجها وتكشفها مسؤولة عن ذلك.

فلا داعي لأن يلمن الرجال، فالبادي أظلم.. ما رأيك أيها القارئ بالذي ينادي بتحرر المرأة، وبالذات المقصود بذلك وبالدرجة الأولى هو التبرج والانفلات؟.. هل المدنية السفيهة بإفساحها المجال للتبرج هي مع حقوق المرأة أم ضدها؟؟!!

وهناك خطورة أخرى في الغرب، وهي أن رفع التستر وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف يَحُد من الزواج، بل يقلل حتى من التكاثر (كثرة النسل) كثيراً، لأن الشاب مهما بلغ فسوقه فإنه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونة عفيفة، ولا يريدها أن تكون مبتذلة متكشفة، لذا تجده يفضّل العزوبية على الزواج إن لم يجد ما يبغيه، وربما ينساق إلى الفساد. فالمرأة من حيث كونها مدبرة لشؤون البيت، ومأمورة بالحفاظ على أولاد زوجها وأمواله وكل ما يخصه، فهي تتصف بأعظم خصلة هي: الأمانة والثقة. إلا أن تبرجها وتكشفها يفسد هذه الأمانة، ويزعزع ثقة الزوج بها، فتجرّعه آلاماً معنوية وعذاباً وجدانياً.

إن الغرب وأنظمته يريدون من المرأة أن تركع لأهوائهم

وأنانيتهم، وأن تقع في الفخاخ التي نصبتها لها عوامل شح نفوسهم التي تجعلهم يضيقون على كفالة المرأة والنفقة عليها، ويتذمرون من الإسلام لأنه كرّم المرأة وصانها، واختار أن يخفف عنها أعباء الكسب، لتتفرغ لأعباء تهيئة الحياة السعيدة في منزلها، دون أن يمنعها منه إذا اختارته هي لنفسها.

أيتها المرأة إنك الآن وجدت ما حدث لـ(بيكنباور)، وتأكدي أن سبب ذلك يعود إلى سيل من فتنة اختلاط الجنسين في أوروبا وأمريكا، وأنها متدفقة في الشوارع والأندية والمحافل العامة، فيقبل نحوها الرجل بدافع الغريزة، وهذه الفتنة موجودة هناك في كل مكان ومعروضة على كل ناظر، واعلمي أن هذا الاختلاط وبشكله اللاشرعي في هذه الدول، وفي مختلف المجالات في الحياة، ما هو إلا سبب من أسباب انهيار هذه المجتمعات، فهل أنت راضية بتلك الأوضاع التي هي ليست من صالحك وصالح بناتِك وأخواتِك؟!!

إن أعداء الإسلام أدركوا خطورة المرأة في إصلاح الأسرة أو إفسادها، وإصلاح المجتمع أو إفساده، فوضعوا خططاً مختلفة لتوجيهها إلى ما يضمن تحقيق أهدافهم ليدمروا نساءنا كما دُمرت نساؤهم، ويجعلوا النساء سلعة بيد هذا الرجل وذاك كما فعل (بيكنباور) بزوجاته.

وهكذا الآن تتطلع أجيالنا الحديثة إلى تقليد الحياة الأوروبية، بعد أن انغمست في حمأة البيئات الجديدة وهي آسنة، التي تسهل طريق الرذيلة، وتهون أمر ممارسة اللذة

المحرمة ولا تعدّ العفة من فضائل الأخلاق، كما لا تعدّ صيانة الأسرة القائمة على الطهارة من الأمور ذات القيمة في المجتمعات الإنسانية.

النظام الاجتماعي الذي ينتظر الغرب، إذا تحقق وتعمم ما ذهب إليه الكاتبان الألمانيان

إن هذا النظام الذي ذهب إليه الكاتبان الألمانيان يؤدي دون شك إلى انحلال نظام الأسرة أو ضعف روابطها، إلى حد يشعر فيه كل فرد من أفرادها أنه ذو استقلال ذاتي تام في فكره وتصرفاته ومعالجة شؤونه الخاصة أو العامة، فهو لا يسمح أن يرشده من أسرته من سبقوه في تجربة الحياة، أو يشرفوا عليه أو يقوموا على تربيته وتأديبه، وضبط سلوكه عن الانحراف والشذوذ، فماذا نتوقع من أطفال الحب الارتقائي وآبائهم الذين لا يعرفونهم بالتحديد، أو أمهاتهم اللاتي لا يمكثن عند رجل واحد، وماذا ننتظره من هؤلاء الأولاد؟ فإذا فسدت الأسرة فسد المجتمع الذي يحويها.

لا شك أنهم يندفعون إلى شهواتهم المتأججة مركبة حياتهم إلى المهالك، ويجدون أنفسهم في مُنْحدرات طرق حياتهم المنهارة مسوقاً إلى الجريمة، ويساعدهم عليها نظراؤهم من قرناء السوء، إذ تسود بينهم مفاهيم بعيدة كل البعد عن المفاهيم الإنسانية الكريمة.

ونستطيع أن نقول: إن من شأن مثل هذه البيئات الفاسدة أن تكون ملائمة لتخرج المجرمين في الأرض، ومثلهم كمثل بيئات

الجراثيم الضارة التي تنمو في مجتمع يأوي إليه كل فاسد مفسد.

إن نظرة الكاتبين الألمانيين من إلغاء الزواج في مستقبل الغرب، إنما هي فكرة تساوي الإنسان مع غيره من أنواع الحيوان، فالزواج في واقعه ما هو إلّا ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت في الإنسان، ولولا الزواج الذي هو تنظيم لتلك الفطرة لتساوى الإنسان مع غيره من أنواع المخلوقات في سبيل تلبية هذه الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع، وعندئذ لا يكون الإنسان ذلك المخلوق الذي سوّاه الله ونفخ فيه من روحه ثم منحه العقل والتفكير، وفضّله على كثير من خلقه، واستخلفه في أرضه، وسَخَّر له عوالم كونه ثم هيّأ له مبادئ الروابط السامية التي يرتفع بها من حضيض الحيوانية البحتة، وتدعوه إلى التعاون مع بني نوعه في عمارة الكون وتدبير المصالح وتبادل المنافع[1].

وما كان الإسلام في الحقيقة بدعاً في الدعوة إلى الزواج، فهو وصية كل نبي، ودعوة كل رسول، وهو طبيعة الحياة التي لا تنهض بجنس واحد، حتى يقاسمه فيها الجنس الآخر، ويعملا معاً على أن تسير الحياة سيرتها التي يكون الأحياء فيها ـ ذكوراً وإناثاً ـ خلفاء عن الله في عمارة هذا الكون العظيم! قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: 38].

(1) كتاب الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ شلتوت، ص: 131.

وحسبنا من الزواج الأول ـ زواج آدم وحواء ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

وإذا ما دققنا النظر في الآية الآنفة الذكر يبدو لنا من أول نظرة معنى الانسجام الذي لا يكون بين شيئين، كما يكون بين الزوجين، ومن أجل ذلك عد الله الزواج من شواهد عظمته وإعلام قدرته فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21].

ولبيان عظمة الخالق في مشروعية الزواج نجد أنه قد يكون الزوج من بلد، وتكون الزوجة من بلد آخر، ويصنع الزواج بينهما المعجزة، فهو يطوي المسافات ويختصر الأبعاد ويسقط الفوارق كلها من لغة، وقومية، ولون... إلخ. وبذلك تكون الأسرتان اللتان تم بينهما الأصهار أسرة واحدة، تتواصل وتتعاطف وتتعاضد، كأعضاء البدن الواحد. وما أخطأ من قال: «المرء على دين زوجته»[1].

إذن أيها الناس لا تركنوا إلى ما يذهب إليه الغرب فتكونوا من الخاسرين، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: 113].

---

(1) الإسلام والأسرة: معوض عوض إبراهيم ـ بتصرف من المؤلف.